الغلبة والتغليب
فى البنية والتركيب

إعداد

دكتـور / وحيد الدين طاهر عبد العزيز

مدرس النحو والصرف - كلية الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادى

توطئة:

فى اللغة العربية جمهرة من المصطلحات والمعانى الوظيفية، ومن هذه المصطلحات والمعانى الوظيفية مصطلحا الغلبة والتغليب من الجذر اللغوى [غ. ل. ب]، وقد أكثر المعجميون العرب من الحديث عن مشتقات هذا الجذر اللغوى، لاسيما الغلبة والمغلب من هذه المشتقات، إلا أن حديثهم عن التغليب لم يكن فى مستوى الحديث عن الغلبة والمغلب، ولو من حيث الكم، فلم يذكر الخليل لفظة التغليب فى معجم العين فى حين ذكر الغلبة والمغلب، وذلك فى معرض حديثه عن مادة [غ. ل. ب]، وكذا الزبيدى فى تاج العروس، والفيروزآبادى فى القاموس المحيط، والفيومى فى مصباحه، فى حين اكتفى ابن منظور فى لسان العرب بقوله "وغلبته أنا عليه تغليبا" [(١)]، وقد يكون من الأجدى أن أسوق أحاديث هؤلاء عن الغلبة والتغليب بغية الوصول إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، وإلى الفرق الدقيق بينهما، جاء فى العين: "غلب يغلب غلبا وغلبة، والغلاب النزاع، والمغلب الذى يغلبه أقرانه فيما يمارس، والمغلب قد يكون المفضل على غيره، والأغلب الغليظ الشديد القصرة، وأسد أغلب، وقد غلب غلبا يكون من داء أيضا، وهضبة غلباء، وعزة غلباء، وتغلب كانت تسمى الغلباء" [(٢)]، وفى لسان العرب: "غلبه يغلبه غَلْبا وغَلَبا، وهى أفصح، وغلبة ومغلبا ومغلبة ... والمغلب المغلوب ... والمغلب الذى يغلب كثيرا ... وغُلِّب الرجل فهو غالب : غلب

[(١)] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[(٢)] كتاب العين مرتبا على حروف المعجم [غ. ل. ب] ٢٨٦/٣.

وهو من الأضداد، وغَلَب على صاحبه حُكم لـه عليـه بالغلبـة" [٣]، وفيـه أيـضا: "تغلب على بلد كذا: استولى عليه قهرا، وغلبتـه أنـا عليـه تغليبـا، محمـد بـن سلام: إذا قالت العرب: شاعر مُغَلَّب فهو مغلـوب، وإذا قـالوا: غُلِّـب فـلان فهـو غالب، ويقال غلبت ليلى الأخيلية على نابغـة بنـى جعـدة لأنهـا غلبتـه، وكـان الجعدى مغلبا"[٤]، وفى القاموس المحيط: "والمغلـب المغلـوب مـرارا، والمحكـوم له بالغلبة، ضد" [٥]، وفـى المـصباح المنيـر: "غلبـه غلبـا مـن بـاب ضـرب، والاسم الغلب بفتحتين، والغلبة أيضا"[٦]، وفى تـاج العـروس: "والمغلـب كمعظـم المغلوب مرارا، والمغلب من الـشعراء المحكـوم لـه بالغلبـة علـى قرنـه كأنـه غلب عليه ... المغلب الذى يغلب كثيـرا، وشـاعر مغلـب أى كثيـرا مـا يغلـب، وهو ضد" [٧]، أما من الناحية الوظيفيـة فقـد سـار سـيبويه علـى درب أسـتاذه الخليل فلم يذكر لفظة التغليب فى كتابه، واكتفى بكلمات مثـل (غلـب) حيـث عقـد بابا قال عنه: "هذا باب ما غلبت فيـه المعرفـة النكـرة" [٨]، وقـال فـى موضـع آخر فى معرض حديثه عن قلـب الـواو يـاء متـى اجتمعتـا وسـبقت أولاهمـا بالسكون – قال: "وكانت الياء الغالبة فـى القلـب لا الـواو لأنهـا أخـف علـيهم لشبهها بالألف" [٩]، وقد ذكر سـيبويه (غلـب) و(يغلـب) فـى موضـعين قاصـدا

---

[٣] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[٤] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[٥] القاموس المحيط [غ. ل. ب] ١١١/١.

[٦] المصباح المنير [غ. ل. ب] ٤٥٠.

[٧] تاج العروس [غ. ل. ب] ٤١٤/١.

[٨] الكتاب ٨١/٢.

[٩] الكتاب ٣٦٥/٤.

بهما التغليب، ففى الجزء الثانى فى معرض حديثه عن العلم بالغلبة قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر"[١٠]، وقال فى الموضع الثانى "وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث"[١١]، وقد أصبح هذا الموضع الأخير فيما بعد أوضح صورة من صور التغليب فى اللغة العربية، وربما يكون الخليل وتلميذه قد تأثرا بآى الكتاب العزيز، حيث لم تُذكر لفظة التغليب فى القرآن الكريم، فى حين ذكرت اشتقاقات كثيرة لهذا الجذر اللغوى مثل (غلبت) و(غلبوا) و(أغلبن) و(يغلبون) و(غالب) و(مغلوب) و(غُلْبا)، ولم تذكر لفظة الغَلَبة إلا فى موضع واحد فى القرآن الكريم فى قول ربنا فى أول سورة الروم: "آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [١٢]، مجردة من التاء، وهو الأفصح كما مر فى لسان العرب، هذا وقد خلت مؤلفات اللغويين فيما بعد من الحديث عن التغليب إلا من بعض المحاولات على يد السيوطى فى كتابيه (الأشباه والنظائر) و(المزهر فى علوم اللغة)، اللذين وسع فيهما دائرة الحديث عن التغليب، ففى كتابه الأشباه والنظائر فى معرض حديثه عن مسائل متفرقة ذكر "اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة" [١٣]، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل على حد قوله، وقال فى موضع آخر من نفس الكتاب: "إذا اجتمع المذكر

---

[١٠] الكتاب ٢/١٠٠-١٠١.

[١١] الكتاب ٣/٥٦١.

[١٢] الروم ١-٣.

[١٣] الأشباه والنظائر ١/١١٣.

والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية، وفى الجمع، وفى عود الضمير، وفى الوصف، وفى العدد " [١٤]، وقد عقد بابا فى كتاب المزهر فى (ذكر المثنى على التغليب) عزا فيه إلى ابن السكيت قوله: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جُوَية [١٥]، وآخر فى ذكر المجموع على التغليب قال فيه: "وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى والمكنى بابا لذلك" [١٦]، أما التهانوى فقد عقد بابا للتغليب قال فيه: "التغليب باللام عند أهل المعانى إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر إجراء للمختلفين مجرى المتفقين" [١٧]، ولم يكتف بتعريف التغليب بالحد وإنما عرج على تعريف التغليب بالرسم، فذكر أمثلة للتغليب، كتغليب المذكر على المؤنث، والعاقل على غير العاقل والعكس، وتغليب المشرق على المغرب بلفظ المشرقين، وعد إبليس من الملائكة بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم، واستشهد على ذلك كله بآيات من الكتاب العزيز، وعد التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له [١٨]، فكانت محاولته رائعة، ومؤخرا عرف مجمع اللغة العربية فى معجمه الوسيط التغليب بالقول: "التغليب فى اللغة : إيثار أحد اللفظين

---

[١٤] الأشباه والنظائر ١/١١٤.

[١٥] انظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ٢/١٨٥.

[١٦] المزهر ٢/٢٠٤.

[١٧] كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٠٨٩.

[١٨] انظر: كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٠٨٩ و ١٠٩٠.

على الآخر فى الأحكام العربية إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط، كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر"[١٩]، وباستقراء التعريفين السابقين للتغليب نجد أن تعريف مجمع اللغة العربية لهذا المصطلح أكثر دقة وإحكاما من تعريف التهانوى، وأن تعريف التهانوى الأول الذى عزاه إلى أهل المعانى أكثر إحكاما من لاحقه للأسباب الآتية:

- ذكر التهانوى فى تعريفه الثانى لفظة (قيل) ولم يذكر القائل أو لم يعزُ هذا الكلام إلى قائل معين أو إلى أهل علم بعينه، وهذايفقد أى تعريف قيمته ومصداقيته.

- ذكر التهانوى كلمة ترجيح فى تعريف التغليب، ولو قال (تغليب) أحد المغلبين لكان أولى وأنسب لفكرة نصرة عنصر على آخر وأن الغالب يعم الاثنين معا، فالتغليب أقرب إلى العموم.

- ذكر التهانوى لفظة (المغلوبين) حين قال (ترجيح أحد المغلوبين)، ولا يمكن أن يكون العنصران مغلوبين، ولفظة (مغلوب) ليست من ألفاظ الأضداد ولو قال ترجيح أحد المغلبين لكان أصوب؛ لأن لفظة (مغلب) تطلق على الغالب والمغلوب وهى من ألفاظ الأضداد، وذلك واضح من كلام المعجميين السابق.

- فى قول التهانوى (إجراء للمختلفين مجرى المتفقين) إيحاء بأن التغليب يكون بين الشيئين المتضادين فقط، والأمر بخلاف ذلك، فقد يكون التغليب

---

[١٩] المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

بين الشيئين المتضادين أو لا، وإن كان غالبا بين المتضادين، وقول مجمع اللغة العربية (إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط) أدق وأصوب، ودليل ذلك ما عزاه السيوطى إلى ابن السكيت من إطلاق العَمْرين على اثنين من الناس فى اسميهما (عمرو)، والعُمَرين كما جاء فى تعريف مجمع اللغة العربية على أبى بكر وعمر.

وباستقراء كل ما تقدم يمكن حد التغليب بأن يجتمع عنصران لغويان ويغلب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم - ويمكن حد الغلبة بالتعريف نفسه مع إبدال (يَغْلِبُ أحدهما الآخر) بـ(يُغَلَّبُ أحدُهما على الآخر)، ويمكن التفريق بين الغلبة والتغليب على النحو الآتى:

- الغلبة من (غَلَب)، والتغليب من (غَلَّب)، وكأنه فى الغلبة يغلب العنصر أخاه بنفسه أو بسبب من داخل السياق، وفى التغليب يغلب الناس عنصرا على آخر، كتغليب المذكر على المؤنث والعاقل على غير العاقل أو العكس، وتغليب الأب على الأم بإطلاق لفظ الأبوين عليهما، للخفة أو للشهرة كما جاء فى المزهر منسوبا إلى ابن السكيت، فلشهرة المشرق غلب على المغرب فأطلق عليهما المشرقان، أو لكثرة أحد المغلبين أو لشرف الآخر وهكذا، ولذا كان ابن منظور مبدعا عندما قال: (وغلبته أنا عليه تغليبا).

- تضعيف عين الفعل - كما هو معلوم - يدل على تكرار حدوث الفعل وهذا يتحقق فى التغليب لا فى الغلبة، أى أن التغليب تكرار لمجىء لفظ يعم نفسه وغيره كما يعم المذكر المؤنث فى كثير من آى الكتاب العزيز.

- الغلبة من ألفاظ الأضداد بمعنى الفوز والهزيمة كالمغلب بمعنى الغالب والمغلوب، ومنه قوله تعالى "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [٢٠] أى من بعد كونهم مغلوبين مهزومين، والتغليب ليس كذلك.

- التغليب يكون بين شيئين بينهما علقة أو اختلاط، والغلبة لا يشترط لها ذلك.

وقد تستخدم الغلبة بمعنى التغليب كما فى قول سيبويه:

"وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث" [٢١]، فقوله يغلب من الغلبة، والغلبة هنا بمعنى التغليب، وقد يخرج قول سيبويه على أن المذكر غلب المؤنث، فغلب عليه، أى أن التغليب قد يكون فى أول الأمر غلبة، بحيث يغلب أحد العنصرين المغلبين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب.

هذا ولكل من الغلبة والتغليب دلالات فى السياقات التى ترد فيها، ذكر العلماء بعضها فى المواطن التى تحدثوا فيها عن الغلبة أو التغليب، وبدورى سأحاول الوقوف على هذه الدلالات، فالهدف الأسمى لأى دراسة لغوية هو المعنى، وسأقسم بحثى هذا إلى مستويين الأول لدراستهما على مستوى البنية، والثانى للدراسة على مستوى التركيب، منطلقا من أقوال العلماء فى هذين المصطلحين، وصولا إلى دلالة كل منهما، من طريق استقراء ما قال العلماء فى كل شكل من أشكال الغلبة أو التغليب فى اللغة العربية.

---

[٢٠] الروم ٣.

[٢١] الكتاب ٣/٥٦١.

المبحث الأول: الغلبة

أولا: الغلبة على مستوى البنية:

(أ) اجتماع الواو والياء وغلبة الياء:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وقال: "إذا اجتمع الواو والياء غلبت الياء نحو طويت طيا والأصل طويا" [٢٢]، وذكر لفظى (غلبة) و(غلبت)، فعد هذا من الغلبة وحدد لنفسه منهجا سار عليه فى أكثر من موضع وهو أن الغلبة بمعنى الفوز فى كل ما يذكر فعندما يقول (وغلبة الياء) أى أن الفوز للياء، وهو ما أسير عليه فى هذا البحث، وسار عليه كل علماء اللغة تقريبا، فالغلبة بمعنى الفوز، وقد عقد سيبويه بابا فى كتابه قال فيه: "هذا باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة، وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التى تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد، ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف، وذلك قولك فى فيعل: سيد وصيب، وإنما أصلهما سيود وصيوب" [٢٣]، وفى الأصول لابن السراج: "كلما التقت واو وياء وسكن الأول منهما، قلبوا الواو ياء، وأدغموا الياء فى الياء، وأكثر الكلام على هذا إلا أحرفا شاذة" [٢٤]، وفى الخصائص: "الياء والواو متى اجتمعتا وسبقت الأولى بالسكون منهما ولم تكن الكلمة علما، ولا مرادا بصحة واوها التنبيه

---

[٢٢] الأشباه والنظائر ١/١١٥.

[٢٣] الكتاب ٤/٣٦٥.

[٢٤] الأصول ٣/٢٦٢.

على أصول أمثالها، ولا كانت تحقيرا محمولا على تكسير، فإن الواو منه تقلب ياء" [٢٥]، وفى موضع آخر منه:

" وليعلم أن هذا الضرب من التركيب وإن قل فى الاستعمال فإنه مراد على كل حال" [٢٦]، وفى شرح الشافية: "وتقلب الواو عينا أو لاما أو غيرهما ياء إذا اجتمعت مع ياء وسكن السابق" [٢٧]، وبالنظر فى كل ما تقدم نلحظ أن كلمة (غلبة) لم تأت إلا فى نص السيوطى، واكتفى سيبويه بقوله: (وكانت الياء الغالبة)، إلا أن نص سيبويه واف فى هذه المسألة، حيث شرح منطق الغلبة بدقة وإتقان ؛ فكانت الدلالات دقيقة متقنة، فالغرض الأسمى من أى إجراء بنيوى هو طلب الخفة، والغرض الأسمى من أى إجراء تركيبى هو أمن اللبس، وغلبة الياء هنا بقلب الواو ياء هدفه طلب الخفة ولذا قال سيبويه: "ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم" [٢٨] فذكر كلمة (أخف) مرتين، وفى نصه عديد الدلالات، منها:

- تقلب الواو ياء هنا لأن الياء والواو بمنزلة ما تقارب مخرجاهما.
- غلبة الياء فى القلب نابعة من خفة الياء لشبهها بالألف.
- إدغام الياء فى الياء خفيف لأن رفع اللسان من موضع واحد أخف من رفعه من موضعين.

---

[٢٥] الخصائص ١/١٥٥.

[٢٦] الخصائص ١/١٥٦.

[٢٧] شرح شافية ابن الحاجب ٣/١٣٩.

[٢٨] الكتاب ٤/٣٦٥.

- كراهية اجتماع الواو مع الياء، ذكره سيبويه فى موضع آخر من كتابه، قال: "وإذا قلت يفعل فبعض العرب يقولون ييجل كراهية الواو مع الياء، شبهوا ذلك بأيام ونحوها" [٢٩].

وفى قول ابن جنى عن هذا القلب (فإنه مراد على كل حال) إشعار بأن هذا النوع من الغلبة يقترب كثيرا من التغليب، فالخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق، وكثيرا ما يميل نحو هذا أو ذاك؛ ولأن الواو هنا تُعطى حكم الياء، ثم تُغَلَّبُ الياء فى البنية.

(ب) اجتماع الساكنتن وغلبة الثانى:

من القواعد المقررة أنه إذا التقى ساكنان يتم التخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه، وأحيانا يحرك الثانى؛ وذلك لكراهة التقاء الساكنين فى اللغة العربية، وبذلك تكون الغلبة للساكن الثانى، الذى غالبا ما يبقى صامدا أمام الساكن الأول إلى أن يحذف أو يحرك، وفى ذلك يقول سيبويه: "ومن كلامهم أن يحذفوا الأول إذا التقى ساكنان، وذلك قولك: اضرب ابن زيد، وأنت تريد الخفيفة (اضربن)" [٣٠]، والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر، يقول سيبويه: "لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر، وذلك قولك اضرب الرجل [٣١]، ويقول الاستراباذى فى شرح الشافية: "وإذا خليت نفسك وسجيتها وجدت منها أنها لا تلتجئ فى النطق بالساكن الثانى المستحيل مجيئه بعد الساكن الأول من بين الحركات إلا إلى الكسرة، وإن حصل لها هذا المقصود بالضمة والفتحة أيضا" [٣٢]، ويقول فى موضع

---

[٢٩] الكتاب ٤/١١١.

[٣٠] الكتاب ٣/٥٠٤ و٥٠٥.

[٣١] الكتاب ٣/٥٣٢.

[٣٢] شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢١٠-٢١١.

آخر: "والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر لما ذكرنا أنه من سجية النفس، إذ لم تستكره على حركة أخرى، وقيل إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذى نحن فيه، ومن همزة الوصل الكسر لأن السكون فى الفعل: أى الجزم أقيم مقام الكسر فى الاسم أى الجر، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص"[٣٣]، وقد يكون التقاء الساكنين فى كلمة واحدة نحو: قل، أو فى كلمتين نحو: قامت الصلاة، والتخلص منه فى الكلمة غلبة على مستوى البنية، وإذا كان فى كلمتين فالتخلص منه غلبة على مستوى التركيب، وفى كلتا الحالتين يكون التخلص طلبا للخفة؛ لأن الساكن الأول كالموقوف عليه، والثانى كالمبدوء به، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بساكن كما لا يوقف على متحرك، فالغلبة هنا لتحقيق خفة الكلام، ولذا اغتفر التقاء الساكنين عند الوقف مطلقا، وفيما اشتمل على تضعيف تال لمد لتحقق الخفة فيهما، وفى هذين الموضعين لا تكون غلبة، حيث لم يغلب شىء شيئا.

(ج) اجتماع الهمزتين المتحركة والساكنة وغلبة المتحركة:

فى الكتاب: "واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة"[٣٤]، وفى المفصل: "وإذا التقت همزتان فى كلمة فالوجه قلب الثانية إلى حرف لين كقولهم آدم وأيمة وأويدم" [٣٥]، وفى شرح المفصل لابن يعيش: "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف فى الحلق، فاستثقل النطق به، إذ كان إخراجه كالتهوع (التقيؤ)، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف ... وتخفيفها كما ذكر

---

[٣٣] شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٣٥ وانظر ٢/٢٤٠.

[٣٤] الكتاب ٣/٥٥٢.

[٣٥] شرح المفصل ٩/١١٦.

بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين" [٣٦]، وفيه أيضا فى موضع آخر: "فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف، فإذا كانتا فى كلمة واحدة كان الثقل أبلغ، ووجب إبدال الثانية إلى حرف لين نحو: آدم وآخر وأيمة وجاء وخطايا، فأما آدم فأصله أأدم بهمزتين الأولى همزة أفعل والثانية فاء الفعل لأنه من الأدمة" [٣٧]، فإذا اجتمع همزتان الأولى متحركة والثانية ساكنة، تقلب الثانية مدة من جنس حركة الهمزة الأولى، فتكون الغلبة للهمزة الأولى المتحركة، وإنما كانت الغلبة للأولى المتحركة لكونها متحركة ولكون الثانية ساكنة، وبدهى أن تتأثر الساكنة بالمتحركة، فالحركة أقوى من السكون، ذلك أنه إذا اجتمع ساكنان يُتخلص من هذا الاجتماع بتحريك أحد الساكنين، وغالبا ما يكون الأول، لكراهة اجتماع الساكنين، فإذا اجتمع متحرك وساكن لا يمكن بحال أن يسكن المتحرك فيلتقى ساكنان، فيكون هذا هروبا مما هو مستثقل إلى ما هو أكثر استثقالا، هذا بالإضافة إلى أن المتحرك أول الكلمة، وإن سكن بدئ بساكن، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بالساكن كما تقدم، وبهذا يكون لهذا الشكل من أشكال الغلبة فى العربية دلالات منها:

- الهمزة حرف شديد مستثقل لخروجه من أقصى الحلق، فإذا اجتمع همزتان زاد الثقل، ووجب التخفيف، فإن كان اجتماعهما فى كلمة واحدة كان الاستثقال أكبر وأبلغ. فيلزم التخفيف من طريق غلبة الأولى على الثانية، بإبدال الثانية حرفا من جنس الأولى.

- الغلبة هنا سببها استثقال اجتماع الهمزتين، وغلبة الأولى على الثانية تحديدا سببها تحرك الأولى وسكون الثانية، بالإضافة إلى الثقل فى خروج

---

[٣٦] شرح المفصل ١٠٧/٩.

[٣٧] شرح المفصل ١١٦/٩.

الحرف من أقصى الحلق، وبذلك يكون للغلبة هنا سببان الأول من داخل السياق والآخر من خارجه، فاجتماع الهمزتين مستثقل ولا يكون الاجتماع إلا فى سياق، والنطق بالهمزة على المستوى العضوى ثقيل فكيف إذا كانتا اثنتين.

ثانيا: الغلبة على مستوى التركيب:

(أ) اجتماع ألف الاستفهام وأحرف العطف وغلبة الاستفهام:

ذكر ابن هشام فى حديثه عن أحكام ألف الاستفهام" أنها إذا كانت فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها فى التصدير" [٣٨] وذكر لذلك أمثلة من القرآن الكريم، والحق أن الأمثلة على ذلك كثيرة جدا فى القرآن الكريم، وقد نص على ذلك سيبويه فى كتابه، فقال: "وهذه الواو التى دخلت عليها ألف الاستفهام كثيرة فى القرآن" [٣٩].

وإنما اختص سيبويه الواو بالذكر من بين أحرف العطف المذكورة؛ لكثرة مجيئها فى القرآن بعد ألف الاستفهام مقارنة بـ (ثم) ولأنها أم الباب، ومن ذلك قوله تعالى: "أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" [٤٠]، وقوله تعالى: "أولم ير الإنسان أنا خلقناه" [٤١]، وقد ورد (أفلا تعقلون) فى القرآن الكريم بتاء الخطاب فى ثلاث عشرة مناسبة [٤٢]، وبالياء فى مناسبة واحدة فى قوله تعالى فى سورة يس: "أفلا يعقلون" [٤٣]، وقال تعالى: "أثم إذا

---

[٣٨] مغنى اللبيب ٣٨/١.

[٣٩] الكتاب ١٨٨/٣.

[٤٠] الأعراف ١٨٥.

[٤١] يس ٧٧.

[٤٢] انظر: البقرة ٤٤ و٧٦، وآل عمران ٦٥، والأنعام ٣٢. وغيرها من الآيات.

[٤٣] يس ٦٨.

ما وقع آمنتم به" [٤٤]، فى حين تتأخر أدوات الاستفهام الأخرى عن العاطف، قال تعالى: "فأين تذهبون" [٤٥]، وقال تعالى: "فأنى تؤفكون" [٤٦]، فالأصل أن تتقدم حروف العطف على ألف الاستفهام كما تتقدم على غيرها من أدوات الاستفهام، لأنها جزء من جملتها، وجملة الاستفهام معطوفة على غيرها ولا يتقدم جزء من المعطوف على حرف العطف، وقد خولف ذلك تنبيها على أصالة الهمزة فى التصدير، كما ذكر ابن هشام فى مغنى اللبيب وقال: "هذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى فزعموا أن الهمزة الأولى فى تلك المواضع فى محلها الأصلى، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف فيقولون فى "أفلم يسيروا" [٤٧]: أمكثوا فلم يسيروا، ويضعف قولهم ما فيه من التكلف وأنه غير مطرد فى جميع المواضع" [٤٨]، وعلى رأى سيبويه والجمهور القائل بأن الهمزة قدمت من تأخير تنبيها على أصالتها فى التصدير تكون هذه المواضع مواضع مغالبة بين ألف الاستفهام وحروف العطف المذكورة، غلبت فيها ألف الاستفهام هذه الأحرف فقدمت عليها تنبيها على أصالتها وحقها فى التصدير ؛ لأصالتها فى الاستفهام، وهو من باب الغلبة التى تقترب كثيرا من التغليب، لأن الأمر يغلب فى كل جملة اجتمع فيها ألف الاستفهام بالواو أو بالفاء أو بـ (ثم)، فتقدم ألف الاستفهام على أحرف العطف، فإذا خولف هذا الأصل مع غير ألف

---

[٤٤] يونس ٥١.

[٤٥] التكوير ٢٦.

[٤٦] غافر ٦٢.

[٤٧] غافر ٨٢.

[٤٨] مغنى اللبيب ٣٨/١ وانظر شرح التصريح على التوضيح ١٥٥/٢.

الاستفهام وقدمت حروف العطف كانت الغلبة للعطف على الاستفهام، ولا يعد هذا تغليبا تاما لأن العطف والاستفهام هنا لا يأخذان حكما واحدا.

(ب) اجتماع الضميرين وغلبة المتكلم ثم المخاطب ثم الغائب:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، ونص على لفظة الغلبة، وقال: "إذا اجتمع ضميران متكلم ومخاطب غلب المتكلم نحو قمنا، وإذا اجتمع مخاطب وغائب غلب المخاطب نحو قمتما" [٤٩]، ولعله يقصد اجتماع الضميرين المتصلين، فمعلوم أن ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب، فإن اجتمع ضميران أحدهما أخص من الآخر وكانا متصلين، وجب تقديم الأخص منهما [٥٠]، قال تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" [٥١] فقدم (نا) المتكلم على كاف المخاطب، وقال تعالى: "فسيكفيكهم الله" [٥٢]، فقدم كاف المخاطب على ضمير الغيبة (هم)، فالغلبة عند اتصال الضمائر للمتكلم ثم للمخاطب ثم للغائب على الترتيب.

(ج) اجتماع الطالبتن وغلبة الطالب الأول:

ذكره السيوطى أيضاً ولم ينص على لفظة (غلبة)، بينما قال : "اجتماع الطالبين ومراعاة الطالب الأول (وقال) إذا اجتمع القسم والشرط جعل الجواب للأول منهما إذا لم يتقدمهما شىء، ومنها أن العرب راعت المتقدم فى قولهم عندى ثلاثة ذكور من البط وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتو بالتاء مع ثلاثة لما تقدما لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، ومنها قال

---

[٤٩] الأشباه والنظائر ١/١١٥.

[٥٠] انظر: شرح ابن عقيل ١/٥٢.

[٥١] الكوثر ١.

[٥٢] البقرة ١٣٧.

الكوفيون إذا تنازع عاملان فالأولى إعمال الأول جريا على هذه القاعدة"[٥٣]، بذلك يكون السيوطى قد ذكر ثلاثة أشكال للغلبة تندرج تحت اجتماع الطالبين وغلبة الأول، أولها اجتماع الشرط والقسم وغلبة المتقدم فى الظفر بالجواب إذا لم يتقدمهما شىء، ذلك أن كل واحد من الشرط والقسم يستدعى جوابا، فإذا اجتمعا حذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه [٥٤]، وإنما كانت الغلبة للمتقدم لاستواء كل من الشرط والقسم فى حق التصدير، فلما كان لكل واحد منهما الحق فى التصدير، جعلت الغلبة لمن يتقدم من باب أن العرب دائما تقدم الذى هو أهم، ومن باب الترتيب ليكون الأول للأول، والأمر غير مطرد كما سيأتى فى التنازع، ولعدم اطراده عد من الغلبة لا التغليب، والثانى من هذه الأشكال ما ذكره السيوطى من قول العرب: عندى ثلاثة ذكور من البط، وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتوا بالتاء لما تقدم لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، فآلت الغلبة إلى الطالب الأول منهما، فلغلبة (ذكور) أنث العدد للمخالفة، وخلا العدد من التاء لما غلب لفظ (البط) وهو مؤنث، وغلبة كل واحد منهما كانت بالتقديم على الآخر، والحق أن السيوطى لم يكن بديع أفكاره فى ذلك، فقد ذكره سيبويه فى كتابه عندما قال: "وتقول له ثلاث من البط لأنك تصيره إلى بطة، وتقول له ثلاثة ذكور من الإبل؛ لأنك لم تجئ بشىء من التأنيث، وإنما ثلثت المذكر ثم جئت بالتفسير" [٥٥]، والثالث مما ذكره السيوطى من أشكال الغلبة التنازع، "وحقيقته أن يتقدم

---

[٥٣] الأشباه والنظائر ١/١١٤.

[٥٤] انظر: شرح ابن عقيل ٤/٢١.

[٥٥] الكتاب ٣/٥٦٢.

فعلان متصرفان أو اسمان يشبهانهما أو فعل متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببى وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى" [٥٦].

وقد ورد لذلك مثالان فى الكتاب العزيز: الأول "آتونى أفرغ عليه قطرا" [٥٧]، والثانى "هاؤم اقرءوا كتابيه" [٥٨] فهاؤم اسم فعل أمر بمعنى (خذوا) ويشبهه فى العمل، واشترط العلماء للتنازع هذا أن يكون العامل من جنس الفعل أو شبهه من الأسماء، فلا تنازع بين الحروف ولا بين الحرف وغيره، ولا بين الجوامد، وأجازه المبرد فى فعلى التعجب، نحو: ما أحسن وأجمل زيدا! وأحسن به وأجمل بعمرو!، وألا يتقدم المعمول على الشيئين المتنازعين أو يتوسط بينهما فإذا حدث ذلك انتفى التنازع [٥٩]، وفى ذلك قال سيبويه: "وهو قولك ضربت وضربنى زيد، وضربنى وضربت زيدا، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين، وأما فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصب ورفع، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره، وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد" [٦٠]، وقد فصل ابن الأنبارى فى الإنصاف [٦١] القول فى منطق الغلبة بين المتنازعين، حيث ذهب الكوفيون فى إعمال الفعلين إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثانى أولى، واستدل كل من الفريقين فى ترجيح كلامه بالدليل نفسه

---

[٥٦] أوضح المسالك ٩٦.

[٥٧] الكهف ٩٦.

[٥٨] الحاقة ١٩.

[٥٩] انظر: شرح شذور الذهب ٤٢٥.

[٦٠] الكتاب ١/٧٣ و٧٤.

[٦١] انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/٨٣-٩٢.

الذى استدل به الآخر وهو النقل والقياس، إلا أن نقل البصريين كان عن رب العزة فى كتابه – ومن أصدق من الله حديثا؟!- فقد قال الله تعالى (آتونى أفرغ عليه قطرا) فأعمل الفعل الثانى وهو (أفرغ) ولو أعمل الفعل الأول لقال أفرغه عليه، وقال تعالى (هاؤم اقرءوا كتابيه) فأعمل الثانى وهو (اقرءوا) ولو أعمل الأول لقال اقرءوه، أما القياس عند الكوفيين فهو أن الفعل الأول سابق الفعل الثانى وهو صالح للعمل كالفعل الثانى، إلا أنه لما كان مبدوءا به كان إعماله أولى؛ لقوة الابتداء والعناية به، وأما القياس عند البصريين فقد انبنى على أن الفعل الثانى أقرب إلى المتنازع عليه من الفعل الأول وليس فى إعماله دون الأول نقض معنى فكان إعماله أولى، وبذلك تكون الغلبة للطالب الأول عند الكوفيين لقوة الابتداء والعناية به، وتكون للطالب الثانى عند البصريين لقربه من المتنازع عليه وانتفاء نقض المعنى فى عمله دون الأول، ولقوة النقل عندهم لأنه جاء عن رب العزة سبحانه.

ومن خلال ما تقدم من أشكال الغلبة نلحظ أنه لم يُعط شىء حكم شىء آخر كالتغليب، أو لم يجر شيئان مجرى شىء واحد، فيتفقا فيه، ولم نُغَلِّب نحن عنصرا لغويا على آخر من تلقاء أنفسنا، وإنما كانت المواضع التى ذكرتها مواضع مغالبة يتغالب فيها عنصران لغويان فيغلب أحدهما الآخر إما لتقدمه، أو لأنه الأحق بالصدارة، أو لأنه أخص من أخيه، أو لقوته المنبثقة من حركته وسكون الآخر، أو لخفة تقتضيها هذه الغلبة، فعندما يلتقى الساكنان مثلا ونتخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه لا يمكن أن نسمى ذلك تغليبا، لأننا لم نسكن متحركا فيجتمع ساكنان ونعطيهما حكما واحدا، بل على النقيض كان الحرفان ساكنين أى فى حكم واحد هو السكون، ولاستثقاله، وكراهته فرقنا بين الساكنين فأعطينا الأول

حكما آخر يختلف عن السكون وهو الحركة أو الحذف، ولذا كان الموضع موضع غلبة يغلب فيه الساكن الثانى الساكن الأول بصموده أمامه، وأحيانا يغلب الأول الثانى فيتحرك الثانى، فالفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب هو أنه مع التغليب يعطى شىء حكم آخر بإيثار أحد اللفظين على أخيه، فيطلق لفظ واحد على الاثنين معا، أو يخاطب العنصران معا مخاطبة واحدة، كمخاطبة المذكر والمؤنث بلفظ المذكر، ومخاطبة العاقل وغير العاقل بلفظ العاقل أوالعكس، وسيتضح ذلك بدراسة مواطن التغليب وأشكاله فى اللغة العربية على مستويى البنية والتركيب.

المبحث الثانى: التغليب

أولا: التغليب على مستوى البنية :

(أ) تغليب اسم (جمع المؤنث السالم) على (جمع الألف والتاء):

الجموع التى تنتهى بالألف والتاء المزيدتين تسمى جموع الألف والتاء، إلا أن كثيرا من العلماء يطلق عليها جمع المؤنث السالم، تغليبا لاسم المؤنث على المذكر فى هذا النوع من الجموع، ذلك أن من هذه الجموع ما هو مؤنث ومنها ما هو مذكر، كجمع مجال على مجالات، وإصطبل على إصطبلات، وكلاهما مذكر، بيد أن معظم الكلمات التى تجمع بزيادة الألف والتاء مؤنثة، ومن باب تغليب اسم المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، على الرغم من أن كلمات مذكرة تجمع هذا الجمع، فالتغليب هنا ليس من حيث الأصل ولا من حيث الأهمية، ولا من حيث التمكن، فالتذكير هو الأصل، وهو الأشد تمكنا، وقد نص سيبويه على ذلك حين قال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شىء، والشىء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا" [٦٢] ولكن منطق التغليب هنا أن الكثرة تغلب القلة، فلما كانت الكلمات التى تجمع على هذا الجمع أكثرها من المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، هذا على مستوى البنية، ولأن الأمر يتعلق بمسمى يطلق على شكل من أشكال الجموع، فلما كان للمفرد باب، وللمثنى باب، ولجمع المذكر باب آثر اللغويون أن يطلقوا على هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم ليكون له باب كغيره، أما على مستوى التركيب فالغلبة للمذكر فى التغليب لأنه الأصل الأشد تمكنا كما قال سيبويه، وإن كان أقل، ولأن الحديث هنا عن مسميات الأشياء، والحديث فى

---

[٦٢] الكتاب ٣/٢٤١.

التركيب عن ذواتها ويتجاوز فى الأسماء ما لا يتجاوز فى الذوات، فلم يكن التغليب هنا للمؤنث على المذكر، وإنما كان لاسم المؤنث على اسم المذكر وسيأتى بإذن الله تغليب المذكر على المؤنث فى التركيب.

(ب) تغليب أحد الاسمين على صاحبه لخفته أو لشهرته:

ذكره السيوطى فى المزهر فى باب (ذكر المثنى على التغليب) منسوبا إلى ابن السكيت، قال: "قال ابن السكيت: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته، من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جؤية" (٦٣)، ومن ذلك ما جاء فى المعجم الوسيط: "كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر" (٦٤)، فى باب التغليب، وقال التهانوى: "غلب المشرق لأنه أشهر الجهتين"(٦٥)، أو لما أثبته العلم الحديث من أن كل مشرق مغرب، وكل مغرب مشرق وكان القرآن معجزا فى ذلك، ففى هذا يغلب اسم من الاسمين على أخيه فيعطى الثانى حكم الأول، ويطلق الأول عليهما معا، لما بينهما من علاقة سماها مجمع اللغة العربية فى المعجم الوسيط العلقة أو الاختلاط (٦٦)، ومن ذلك ما ذكره سيبويه فى معرض حديثه عن العَلَم بالغلبة حين قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر" (٦٧).

(ج) المجموع على التغليب:

---

(٦٣) المزهر فى علوم اللغة ٢/١٨٥.

(٦٤) المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

(٦٥) كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٠٨٩ و١٠٩٠.

(٦٦) انظر: المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

(٦٧) الكتاب ٢/١٠٠-١٠١.

ذكره السيوطى فى المزهر أيضاً فى باب ذكر المجموع على التغليب منسوبا إلى المبرد، قال: "قال المبرد فى الكامل من ذلك قوله (سلام على إلياسين) [٦٨] فجمعه على لفظ إلياس ... وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى والمكنى بابا لذلك" [٦٩]، ففى تفسير قوله تعالى (إلياسين) قولان الأول أنه لغة فى إلياس، والثانى أن المقصود به إلياس وأتباعه، وعلى التفسير الثانى يكون رب العزة سبحانه قد غلب اسم إلياس على أتباعه فقال (إلياسين).

ثانيا: التغليب على مستوى التركيب:

(أ) تغليب المذكر على المؤنث:

فى الأشباه والنظائر: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل، والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية وفى الجمع، وفى عود الضمير وفى الوصف وفى العدد [٧٠]، وفى شرح المفصل: "ولما كان المذكر أصلا والمؤنث فرعا عليه لم يحتج المذكر إلى علامة لأنه يفهم عند الإطلاق إذا كان الأصل، ولما كان التأنيث ثانيا لم يكن بد من علامة تدل عليه، والدليل على أن المذكر أصل أمران: أحدهما مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث [التغليب]، الثانى أن المؤنث يفتقر إلى علامة ولو كان أصلا لم يفتقر إلى علامة " [٧١]، وفى الكتاب: "وتقول هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل؛ لأن المذكر يغلب المؤنث" [٧٢]، وقد بين سيبويه منطق التغليب فى ذلك، فقال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص

---

[٦٨] الصافات ١٣٠.

[٦٩] المزهر ٢/٢٠٤.

[٧٠] الأشباه والنظائر ١/١١٤.

[٧١] شرح المفصل ٥/٨٨.

[٧٢] الكتاب ٣/٥٦١.

بعد فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا .. فالتذكير قبل، وهو أشد تمكنا عندهم، فالأول هو أشد تمكنا عندهم"[٧٣] ومنه ما جاء فى كتاب سيبويه: "وتقول: ثلاثة أشخص وإن عنيت نساء؛ لأن الشخص اسم مذكر" [٧٤]، والأمثلة على هذا النوع من التغليب كثيرة جدا فى القرآن الكريم، قال تعالى: "وكانت من القانتين" [٧٥]، وقد علق التهانوى على ذلك فى كشافه فقال: "والأصل قانتات فعدت الأنثى من المذكر تغليبا ... وإنما كان التغليب مجازا لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، فإن القانتين مثلا موضوع للذكور، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير الموضوع له، كذا فى الإتقان فى نوع الحقيقة والمجاز" [٧٦].

ويدخل فى ذلك كل خطاب موجه إلى الناس بصيغة المذكر قصد به المذكر والمؤنث جميعا، تغليبا للمذكر على المؤنث، كقوله تعالى: "هدى للمتقين" [٧٧] أى هذا الكتاب هدى للمتقين والمتقيات وغلب المذكر، ومنه قوله تعالى: "قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون" [٧٨] فالمقصود المؤمنون والمؤمنات، والخاشعون والخاشعات، والمعرضون والمعرضات، والفاعلون والفاعلات، والحافظون والحافظات، وكان الخطاب بصيغة المذكر تغليبا للمذكر، فهذه الكلمات المذكورة فى الآيات

---

[٧٣] الكتاب ٣/٢٤١.

[٧٤] الكتاب ٣/٥٦٢.

[٧٥] التحريم ١٢.

[٧٦] كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٠٨٩ و١٠٩٠.

[٧٧] البقرة ٢.

[٧٨] المؤمنون ١-٥.

موضوعة فى اللغة للذكور، وإطلاقها على الذكور والإناث من باب جعل اللفظ لما ليس له، أو من باب إعطاء الشيء حكم شيء آخر، وهذا هو التغليب المقصود، وهو أشهر أنواع التغليب فى اللغة العربية وأكثرها ورودا، وهو حقيق بالرعاية والدراية، وفى ذلك يقول الآلوسى: "لأن رعاية ما هو الغالب فى النوع أولى من رعاية الأصل، والحشر مع الجماعة عيد" [٧٩]، ومنه قوله تعالى: "وقيل ادخلا النار مع الداخلين" [٨٠]، فالحديث عن امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا هذين العبدين الصالحين فقيل لهما ذلك، و(الداخلين) لفظ موضوع فى اللغة لجماعة الذكور، وغلب على الذكور والإناث معا فى الآية الكريمة، ومنطق التغليب فى كل ما تقدم أن المذكر يعم المذكر والمؤنث جميعا لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة.

(ب) اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل قال: "إذا اجتمع النكرة والمعرفة غلبت المعرفة، تقول: هذا زيد ورجل منطلقين، فتنصب منطلقين على الحال تغليبا للمعرفة، ولا يجوز الرفع، ذكره الأندلسى فى شرح المفصل" [٨١]، وقد عقد سيبويه بابا لذلك، قال فيه: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة، وذلك قولك هذان رجلان وعبد الله منطلقين، وإنما نصبت المنطلقين لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفة لعبد الله، ولا أن يكون صفة للاثنين. فلما كان ذلك محالا جعلته حالا صارا فيها، كأنك قلت: هذا عبد الله منطلقا" [٨٢]، وقد كان السيوطى مبدعا عندما قال (اجتماع

---

[٧٩] روح المعانى ١/٦٥.

[٨٠] التحريم ١٠.

[٨١] الأشباه والنظائر ١/١١٣.

[٨٢] الكتاب ٢/٨١.

النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة) وذكر كلمة اجتماع، مشعرا بأن هذا النوع من التغليب يتحقق عندما تجتمع النكرة والمعرفة فى سياق ما ويكون ردفهما وصفا، فتغلب المعرفة على النكرة، على الرغم من أن النكرة هى الأصل، لأنها "أشد تمكنا من المعرفة، لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف" [٨٣]، وقد جاء فى شرح المفصل : "واعلم أن النكرة هى الأصل والتعريف حادث، لأن الاسم نكرة فى أول أمره مبهم فى جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتعريف ... فلا تجد معرفة إلا وأصلها النكرة إلا اسم الله تعالى؛ لأنه لا شريك له سبحانه وتعالى، فالتعريف ثان أتى به للحاجة إلى الحديث عن كل واحد من أشخاص ذلك الجنس" [٨٤]، وهذا الشكل من التغليب مقرون بالسياق الذى جاء فيه إذ لا سبيل فى هذا السياق أن يكون رديف النكرة والمعرفة صفة لهما، ولما كان ذلك محالا - على حد قول سيبويه - جعل الرديف حالا صارا فيه .

(ج) اجتماع العاقل وغير العاقل وتغليب العاقل أو غيره:

ذكره التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون، قال: "وقوله تعالى: (ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض) [٨٥] غلب فيه غير العاقل على العاقل فأتى بـ(ما) لكثرته، وفى آية أخرى عبر بـ (من) فغلب العاقل لشرفه"[٨٦]، يقصد قول الله تعالى: "ولله يسجد من فى السماوات والأرض" [٨٧]، ففى الآية الأولى المقصود العاقل وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته،

---

[٨٣] الكتاب ٣/٢٤١.

[٨٤] شرح المفصل ٥/٨٥.

[٨٥] النحل ٤٩.

[٨٦] كشاف اصطلاحات الفنون ٣/١٠٨٩.

[٨٧] الرعد ١٥.

فأتى بـ(ما) وهى موضوعة فى اللغة لغير العاقل، وفى الآية الثانية غلب العاقل لشرفه وعلو قدره فأتى بـ(من) وهى موضوعة للعاقل، وذلك من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، هذا وللسياق أثر فى هذين التغليبين، فالحديث فى سورة الرعد عن شىء من الآيات المعجزة للإنس والجن، يسوقها رب العباد لعباده لعلهم يؤمنون، وقد قال تعالى فى أول هذه الآيات: "ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" [٨٨]، والناس يناسبهم الضمير (من) لأنه للعاقل ولذا جاء به رب العزة سبحانه فى هذه السورة، وقد ذكر رب العزة فى هذه السورة أن الرعد يسبح بحمد الله وهو من غير العاقل، ثم ذكر (من) للعاقل ليجتمع العاقل وغير العاقل فى عبادة الواحد، وفى سورة النحل ذكر خلق السموات والأرض والأنعام والآيات فى خلقها، والخيل والبغال والحمير، والماء المنزل من السماء لينبت به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، وفيها أيضا ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، والبحر وما فيه من آيات ومعجزات، وغير ذلك مما لا يعقل، فناسب ذلك الإتيان بـ(ما) فى هذه السورة لأنه موضوع فى اللغة لغير العاقل، وفى السورة جمهرة من غير العاقل.

ومن أشكال التغليب أيضا ما ذكره التهانوى أيضا فى قول الله تعالى: "فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" [٨٩]، قال: "عد إبليس منهم بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم" [٩٠].

وفى كل ما تقدم من ضروب التغليب نجد عنصرا لغويا يعطى حكم عنصر آخر لما بين العنصرين من علقة أو اختلاط. وبإعطاء أحد العنصرين

---

[٨٨] الرعد ١.

[٨٩] الحجر ٣٠ و ٣١ .

[٩٠] كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣ و ١٠٩٠

حكم الآخر، يصير العنصران فى حكم واحد، وكأنهما شىء واحد، وكلا العنصرين مغلب لأنه ضد، أى أن هذا الإجراء تغليب لما ساد حكمه على أخيه، فعند إطلاق لفظة (الأبوين) على الأب والأم نكون قد غلبنا (الأب) على (الأم) فى اللفظ، أو أعطينا (الأم) حكم (الأب) فغلبنا اللفظ عليهما معا، وعندما يغلب المذكر على المؤنث فى السياق يعطى المؤنث حكم المذكر، فيصيران وكأنهما شىء واحد، ويخاطبان مخاطبة واحدة، وكذا عندما تغلب المعرفة على النكرة، أو عندما يعطى العاقل وغير العاقل حكما واحدا وهكذا، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته على أخيه، أو لشرفه، أو لأنه الأصل فى اللغة، وهذا التغليب فى الأصل غلبة ولذا قال لسيبويه: "هذا باب ماغلبت فيه المعرفة النكرة " [٩١]، إلا أن الغلبة لا يعطى فيها شىء حكم آخر، فعندما تغلب ألف الاستفهام واو العطف مثلا فى الظفر بالتصدير لاتعطى الواو حكم الاستفهام، فالتغليب غلبة يغلب فيها أحد العنصرين أخاه فيغلب عليه بإعطاء شىء حكم غيره وهذا هو الفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب .

---

[٩١] الكتاب ٢/٨١.

خاتمة :

هذا البحث محاولة للتوصل إلى المعنى الوظيفى لكل من الغلبة والتغليب وإلى الفرق الدقيق بينهما، حاولت فيه تتبع هذين المصطلحين فى كتب الأقدمين فبدأت بكتب المعجم بغية الوصول إلى معنى معجمى يحيلنا إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، ثم عرجت على كتب اللغة، محاولا الوقوف على دلالات الغلبة والتغليب، وقد قسمت البحث إلى مستويين : الأول لدراستهما على مستوى البنية والآخر لدراستهما على مستوى التركيب، وقد خلصت إلى الآتى :

- الغلبة هى انهزام عنصر أمام آخر، فتكون الغلبة للآخر الفائز، من دون أن يعطى شىء حكم شىء آخر، وذلك لقوة الفائز أو حقه فى التصدير أو لخفة تقتضيها الغلبة.

- التغليب هو اجتماع عنصرين لغويين وتغليب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك بإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته، أو لشرفه، أو لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة، وبإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر يصبحان كالشىء الواحد فيكون حكمهما واحدا ويخاطبان مخاطبة واحدة .

- التغليب يكون بين شيئين بينهما علاقة سماها مجمع اللغة العربية العلقة أو الاختلاط، والغلبة لايشترط لها ذلك .

- الخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق يميل نحو هذا وذاك، فقد تقترب الغلبة من التغليب كثيرا وذلك كغلبة الياء على الواو عندما يجتمعان ويكون الأول منهما ساكنا، فالواو تعطى حكم الياء فتقلب ياء وتدغم الياء فى الياء .

- التغليب قد يكون فى أول الأمر غلبة بحيث يغلب أحد العنصرين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب .

والله تعالى أعلى وأعلم،

ثبت المراجع

١- الأشباه والنظائر، للسيوطى (المتوفى ٩١١ هـ) : بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥م .

٢- الأصول فى النحو، لابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادى المتوفى ٣١٦هـ)، بتحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة (بيروت -لبنان)، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٣- الإنصاف فى مسائل الخلاف، لابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد الأنبارى ٥١٣هـ - ٥٧٧هـ) دار الفكر .

٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، مكتبة محمد على صبيح، الطبعة الرابعة ١٩٦٨م.

٥- تاج العروس، للزبيدى (محمد مرتضى الزبيدى)، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.

٦- الخصائص، لابن جنى (أبو الفتح عثمان ابن جنى)، بتحقيق محمد على النجار، دار الهدى (بيروت لبنان)، الطبعة الثانية .

٧- روح المعانى، للآلوسى (شهاب الدين السيد محمود الآلوسى)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث ودار الفكر (بيروت – لبنان) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٨- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية .

٩- شرح شافية ابن الحاجب : تأليف الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى (المتوفى ٦٨٦هـ) بشواهد البغدادى صاحب خزانة

الأدب، بتحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفراف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت – لبنان) ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

١٠-شرح شذور الذهب، لابن هشام، المكتبة العصرية (صيدا – بيروت) ١٩٩٧م .

١١-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلى المصرى) مع كتاب منحة الجليل لمحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة ٢٠٠٤م.

١٢-شرح المفصل، لابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبى بالقاهرة .

١٣-القاموس المحيط، للفيروز آبادى، عالم الكتب (بيروت – لبنان)

١٤-كتاب سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥-كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى ١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١٦-كتاب كشاف اصطلاحات الفنون، تأليف الشيخ الأجل المولوى محمد أعلى بن على التهانوى، دار صادر – بيروت .

١٧-لسان العرب المحيط، لابن منظور، دار لسان العرب (بيروت – لبنان) بإعداد وتصنيف يوسف خياط .

١٨-المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، المكتبة العصرية، (صيدا – بيروت) ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.